Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان الفصاحة لم تشرح وتوضح وكل ما نقل عنها هو تقليد المتأخرين للمتقدمين مما لا يفصح عنها ويظهر مغزاها . قال : « واعلم انك لا ترى في الدنيا علماً قد جرى الامر فيه بديئاً واخيراً على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان . اما البديء فهو انك لا ترى نوعاً من أنواع العلوم الا واذا تأملت كلام الاولين الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه اكثر من الاشارة والتصريح أغلب من التلويح . والامر في علم الفصاحة بالضد من هذا فانك اذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جله أو كله رمزاً ووحياً وكناية وتعريضاً وايماءً الى الغرض من وجه لا يفطن له الا من غلغل الفكر وأذق النظر . ومن يرجع من طبعه الى ألمعية يقوى معها على الغامض ويصل بها الى الخفي حتى كان بسلاً حراماً ان تتجلى معانيهم سافرة الأوجة لا نقاب لها وبادية الصفحة لا حجاب دونها وحتى كأن الافصاح بها حرام وذكرها الا على سبيل الكناية والتعريض غير سائغ . واما الاخير فهو انا لم نَرَ العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم ان يحفظوا كلاماً للاولين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم بعضاً من غير ان يعرفوا له معنى ويقفوا منه على غرض صحيح ويكون عندهم ان يسألوا عنه بيان له وتفسير الا علم الفصاحة فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظاً للقدماء وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى اصلاً أو يستطيعوا ان يسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيراً يصح »[1] وانتهى الى ان فسرها تفسيراً يختلف عما سبق وربطها بالنظم فأصبحت متداخلة في البيان والبلاغة والبراعة .

هذه خلاصة ما قاله في الفصاحة والالفاظ ، وقد نقده بعض الباحثين لانه اهمل دراسة الجانب الصوتي من اللفظ ولم يعطِ الالفاظ قيمة كبيرة ، فقال المرحوم سيد قطب : « ومع اننا نختلف مع عبد القاهر في كثير مما تحويه نظريته هذه بسبب إغفاله التام لقيمة اللفظ الصوتية مفرداً أو مجتمعاً مع غيره ، وهو ما عبرنا عنه بالايقاع الموسيقي كما يغفل الظلال الخيالية في أحيان كثيرة ولها عندنا قيمة كبرى في العمل الفني ، مع هذا فاننا نعجب باستطاعته ان يقرر نظرية هامة

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٤٩ – ٣٥٠ .